الفصل الثالث

المراكز العلمية

في الثغور الاندلسية

1. المساجد واسهاماتها الفكرية
2. الكتاتيب
3. الربط
4. دور الكتب و المكتبات
   - أ- المكتبات العامة
   - ب- المكتبات الخاصة

الفصل الثالث

المراكز العلمية في الثغور الأندلسية

لقد شهدت الأندلس نشوء عدد كبير من المؤسسات العلمية وحظيت مدنها بظهور طبقات العلماء والفقهاء والأدباء الذين كان لهم اسهامات في الحياة العلمية في التأليف وتخريج اعداد من الطلبة الذين صار لهم نصيب في ازدهار المراكز العلمية التي أخذت على عاتقها مسؤولية نشر الثقافة الأسلامية بتعاليمها السمحة، وقد تنوعت هذه المؤسسات وتعددت اذ وجدت في الأندلس أماكن لم تنشأ لهذا الغرض إلا أنها شهدت نشاطاً علمياً ملحوظاً[1].

ومن أهم المؤسسات أو المراكز العلمية التي لها اثر كبير في ابراز الاسهام العلمي في مختلف مدن الأندلس، المساجد والكتاتيب والرباطات والمكتبات العامة والخاصة فكانت هي الخيار الرئيس الذي انتشرت عن طريقه العلوم والثقافة الأسلامية، وكانت هناك وسائط ثقافية أخرى كقصور وبلاطات الأمراء والمنتديات العلمية في بيوتات الوزراء وعلية القوم وفي بيوتات العلماء والأدباء أيضاً[2].

ويعد العلم أحد أبرز المظاهر الأساسية في الحياة الأندلسية كما أكد لنا علماء الأندلس فكان له علاقة مع السياسة، وقد أورد لنا ابن الازرق الغرناطي قوله: ((ولو خصنن السياسة بلحظ جانبها المرعي الذمام واعمل في فائدة عملها بمعتبرها في التصريف ومعملها، واجب العناية بها والاهتمام لناسب ان يسمى بتحرير السياسة فهي من العلم الذي لا يستغني عنه سوقة ولا ملك ولا من نهج به في التقويم سبيل الرشد القويم وسلك فمن سماه بذلك فوجهه وضاح الاسرة مشرقها والخطة في الاعتبار المناسب اصيل معرفتها...، وهذبت تربيته وتفصيله وذهبت بنضار فرائده على كثرة فوائد بيانه وتحصيله)) [3].

1- المساجد واسهاماتها الفكرية

يُعد المسجد أهم مؤسسة تعليمية أسلامية وأحد أبرز مظاهر الثقافة الدينية، وله فضل كبير في اعداد الطبقات العلمية في الأندلس، ودراسة هذه المؤسسة في أية ولاية من ولايات العالم الأسلامية هي دراسة المركز والمكان الرئيس للحياة الثقافية الأسلامية، وقد قام المسجد بمهامه في التعليم وحلقات العلم التي كانت تعقد في

(1) حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية (بيروت، 1976 م) ط1، ص 204.
(2) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 200.
(3) بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، ص 35.

المساجد منذ عهد الرسول محمد صلى ّ عليه وآله وسلم بدليل ما رواه البخاري قال: ((بينما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأى احدهما فرجةً في الحلقة فجلس وجلس الاخر خلفهم))[1]، فضلاً عن الأثر التعبدي والعلمي فقد كانت المساجد منذ العصور الأولى وحتى وقت قريب المقر الذي تناقش فيه قضايا ومشكلات المسلمين السياسية والأمنية والعسكرية وغيرها[2].

وعلى الرغم من ان أهل الأندلس لم ينشئوا مدارس تعينهم على طلب العلم، إلا انهم كانوا أحرص الناس على طلبه، حتى الجاهل فيهم الذي ليس له معرفة بالعلم كانت له صنعة تميزه حتى لا يبقى فارغاً وعالة على الناس، والذين يسعون في العلم كانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد[3] كما أشار الى ذلك المقري ((...، ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد...)) [4].

ويرجع السبب الرئيس في اتخاذ المسجد مركزاً ثقافياً علمياً الى عناية أهل الأندلس بالدراسات الأسلامية مثل علوم القرآن والحديث والفقه في المراحل الاولى التي تتضمن تعليم مبادئ الدين الأسلامي وتفسيره، وشرحه وتوضيح اسسه وأحكام، وتلك العلوم ترتبط بالمسجد أوثق ارتباط، ومن هنا كان من السهل على المسلم التوجه الى المسجد للتفقه في الدين وأداء الفروض الدينية[5]، وبذلك يمكن القول ان الطريق الذي كان يسلكه الطالب للتعلم في تلك المدة هو المسجد الجامع[6].

فقد كانت لمساجد الأندلس مكانة دينية ودنيوية، اذ تقام فيها صلاة الجمعة وصلاة الاستسقاء والاحتفال بليلة القدر العظيمة وليلة الاسراء والمعراج وليلة المولد

---

(1) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 265 هـ /878 م) صحيح البخاري، تحقيق: محمد علي صبيح (القاهرة، 1893م) ج1، ص 26.

(2) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 201.

(3) ابن الشباط، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، تحقيق: احمد مختار العبادي (معهد الدراسات الأسلامية مدريد، 1971م) ص 142.

(4) نفح الطيب، ج1، ص 220؛ خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي التطور والتجديد (بيروت، 1992م) ط1، ص 205.

(5) عيسى، محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس (دار الفكر العربي، د.م، 1982م) ط1، ص 226.

(6) سالم، تأثير المسلمين وآثارهم في الأندلس (القاهرة، 1971 م، د. ط) ص 377.

النبوي الشريف ويحتفل فيه للخروج في حملات الجهاد فضلاً عن اتخاذه مركزاً علمياً[1].

وكان في المسجد الجامع حلقات دراسية[2]، وتلقي العلوم فيها يعتمد على نباهة الطالب وحسن أستجابته ولو كان صغير السن، فعن محمد بن الربيع قال: ((عقلت من النبي صلّى الله عليه وسلّم مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين من دلو)) [3]، والراجح ان السن المثالية لدخول طالب العلم الى حلقات المسجد كانت بين سن الحادية عشرة والثالثة عشرة من العمر، وذلك لأن هذا الطالب كان يقضي في المكتب خمس أو ست سنوات، أما ما يخص الحضور في حلقات المسجد فهي عملية تبدو سهلة، إذ ان الأمر لا يتطلب منهم غير ذهابهم الى المسجد وجلوسهم في حلقة الأستاذ الذي يرغبون بالدراسة عليه، كما إن الطلبة في المرحلة المذكورة كانوا أحراراً في اختيار العلوم التي يرغبون دراستها، والتنقل بين حلقات من أحبوا من العلماء دون قيد أو شرط[4].

أما اوقات الدراسة في المسجد فلم يكن لها برنامج زمني محدد يتقيد به الطالب والأستاذ كما هو الحال الآن في المؤسسات العلمية والتعليمية، بل كانت تتحكم في ذلك عدة عوامل منها: ظروف الأستاذ وصحته وأوقات فراغه، لان من الأساتذة من كان يمارس اعمالاً حرة يكسب منها قوته، اذ ان اغلبهم كان يبذل جهد العلم لوجه الله تعالى[5].

لذلك فان الأستاذ كان هو الذي يحدد أوقات محاضراته حسب رغبته وظروفه، ومن الأمور الأخرى التي تتحكم في الأوقات المذكورة مواقيت الصلاة، ورغبة الطلبة وظروفهم المعاشية، وأوقات تجمعهم، ولم تكن الساعات التي تستغرقها كل محاضرة محددة، وإنما يتوقف ذلك على أمر الأستاذ ومقتضى الحال[6].

---

(1) العامري، دور المسجد الجامع بقرطبة في اعداد الطبقات العلمية بالأندلس، مجلة دراسات أسلامية، بيت الحكمة، العدد الرابع، لسنة 2000 م، ص 117.

(2) الرفاعي، انور، الانسان العربي والتاريخ (دار الفكر، دمشق، 1971م) ص 380.

(3) القاضي عياض، الالماع الى معرفة احوال الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد احمد الصقر (مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1970م) ص 62.

(4) الجبوري، عبد العباس ابراهيم حمادي، الحركة الفكرية في مدينة فاس في عهد الدولة الموحدية (اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1986م) ص 195.

(5) الجبوري، الحركة الفكرية في مدينة فاس، ص 197.

(6) غنيمة، محمد عبد الرحيم، تاريخ الجامعات الأسلامية الكبرى (مطبعة كريماديس، تطوان، 1953م) ص 274.

وقد ينتقل الطالب من مسجد مدينته بعد قضاء خمس سنوات فيه الى حاضرة الأندلس قرطبة أو أية مدينة اخرى، أو يقوم برحلة الى أي من مدن العالم الأسلامي لتلقي علومه في مساجدها على أيدي العلماء، وان الحد الفاصل بين مرحلة طلب العلم في المسجد والمرحلة التالية هو ان ينتصب للتدريس فعندئذ يصبح شيخاً، أما سن الطالب وقتئذ فهو غير محدد فمدى استعداده لطلب العلم وتهيؤ الفرص ونوع العلم الذي عني به والشيوخ الذين تلقى عنهم وما كان له من نشاطات في طلب العلم وثقته في نفوس أبناء مجتمعه يحددها علمه وسلوكه[1].

والتدريس في المساجد يقوم به مجموعة من العلماء بعد ان تكتمل المرحلة الاولى عند التلاميذ تلك المتمثلة في القراءة والكتابة وحفظ القرآن، فقد اشارت المصادر وكتب التراجم وكتب الطبقات الى ان هناك علماء متبحرين في العلوم الشرعية واللغوية والقراءات والتفسير والحديث والادب والعروض وغيرها من العلوم في مختلف المعارف، ويقومون بالتدريس في الجوامع لطلاب العلم.

وكان الثغر الأندلسي الاعلى اغلب النشاط العلمي فيه ولاسيما مدينة وشقة يقام في المساجد وهذا ما اشار اليه الحميري ((...، وبها أزيد من ستين مسجداً) [2].

وقد تصدر للتدريس في المساجد بعض علماء الثغور الأندلسية نخص منهم بالذكر الفقيه ابراهيم بن دخنيل الوشقي (ت 470 هـ/1077 م) من علماء الثغر الاعلى الأندلسي ((...، اقرأ القرآن بجامع سرقسطة، وعلّم العربية، وكان رجلاً فاضلاً جيد التعليم حسن الفهم)) [3].

والفقيه الحسين بن محمد بن مبشر الانصاري (ت 480 هـ / 1087 م) فقد كان اماماً حاذق مجود ((...، تصدر للأقراء بجامع سرقسطة نحواً من اربعين سنة)) [4].

والفقيه عبد الله بن ادريس السرقسطي (ت 515 هـ / 1121 م) ((كان من أهل الاداء والضبط اخذ ببلده عن عبد الوهاب بن حكم، وسمع ابا علي بن سكرة وسكن سبتة، وتصدر في جامعها للأقراء)) [5].

وكان خلف بن بقي التجيبي الطليطلي من علماء الثغر الاوسط الأندلسي ((تولى احكام السوق ببلده وكان يجلس لها بالجامع...)) [6].

---

(1) حسين، الحياة العلمية في بلنسية، ص 212.

(2) الروض المعطار، ص 612.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 96.

(4) الجزري، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد (ت 832 هـ/1428م) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج. براجستراسر (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932م) ج1، ص 252.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 292.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص 166.

وعبد الله بن احمد يعرف بابن القشاوي (ت 417 هـ / 1026 م) ((كان يبدأ في المناظرة بذكر الله عز وجل، والصلاة على النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، ثم يورد الحديث والحديثين والموعظة، ثم يبدأ بطرح المسائل)) [1]، كما كان القاضي سليمان بن عمر بن محمد الاموي (ت 440 هـ/ 1048 م) ((مقرئاً للقرآن في المسجد الجامع...)) [2].

وكان الفقيه والمحدث احمد بن قاسم بن محمد التجيبي (ت 443 هـ/1051 م) ((له حلقة في المسجد الجامع)) [3]. وجلس ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبي (ت 450 هـ/1058 م) ((لأقراء الادب والنحو في سقيفة المسجد الجامع بطليطلة)) [4].

وكان علي بن عبد الله بن فرج المغامي (ت 483 هـ/1090 م) قد تولى تدريس علوم القرآن في جامع قرطبة الاعظم مدة شهرين، وعمل في التدريس بجامع طليطلة، وكان صاحب الخطبة والصلاة فيه[5].

وكان الفقيه سعيد بن كرسلين البطليوسي من محدثي الثغر الأندلسي الادنى يتحلق في المسجد الجامع ويقرأ عليه[6].

وقد بذل أمراء الدولة الاموية في الأندلس عناية غير اعتيادية لبناء المساجد وترميمها وتوسيعها، فجاء في حوادث سنة (257 هـ/870 م) ان الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط قام بتوسيع المسجد الجامع في عاصمة الثغر الاوسط بطليطلة بعد ان ضم الكنيسة الملاصقة له واعادة ترميم المنارة التي تهدمت بفعل عوامل الزمن [7].

ولم يكن انشاء المساجد وترميمها قاصراً على الدولة، بل ان كثيراً من المساجد في الأندلس انشأها افراد المجتمع واوقفوا عليها الاوقاف التي كانت مواردها تستخدم لمنفعة الحياة العلمية، فضلاً عن تهيئة المكان الملائم لها كتخصيص المنح للعلماء وأعانة طلاب العلم ولاسيما الوافدين[8]، ومنها مسجد باب مردوم[1] الذي قام ببنائه

---

(1) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 28، ص 424؛ ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 262.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ص 199.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 53.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 26؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة (المطبعة الشرقية، الجزائر، 1919 م) ص 166 .

(5) الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق: محمد سيد جاد الحق (مطبعة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1967م) ط1، ج1، ص 354.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 142.

(7) الشباني، الحياة العلمية في طليطلة الأسلامية، ص 51.

(8) حسين، الحياة العلمية في بلنسية، ص 209.

موسى بن علي الطليطلي سنة (390 هـ / 1999 م) بعد ان تبرع ببنائه احد اعيان طليطلة وهو الفقيه احمد بن يحيى بن سعيد التجيبي ويعرف بابن الحديدي [2].

وهناك مسجد شيّده علي بن حسن من أهل بطليوس ((...، ابتنى مسجداً ببطليوس وهو منسوب اليه الى اليوم)) [3].

وكان أبو النصر فتح بن ابراهيم الأموي (ت 403 هـ/1013 م) الذي يعرف بابن القشاوي بنى بطليطلة مسجدين أحدهما بالجبل البارد، والآخر بالدباغين[4] ((كان رجلاً صالحاً عابداً قانتاً مجتهداً في طلب العلم) [5].

---

(1) من اهم الاثار الأسلامية في مدينة طليطلة اذ انه يحتفظ ببعض المميزات المعمارية الأندلسية التي كانت دائماً مصدر ايحاء للعاملين في مجال الفنون المعمارية، وقد حول الى كنيسة تسمى كريستو دي لالوث ويوجد في نقش واجهته عبارة ((بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ اقام هذا احمد بن حديدي من ماله ابتغاء ثواب الله فتم بعون الله على يدي موسى بن علي البناء)). ينظر: عنان، الاثار الأندلسية، ص 89.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4 م1، ص 152؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ص 22 .

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 250.

(4) ارسلان، الحلل السندسية، ج2، ص 21.

(5) الذهبي، تاريخ الأسلام، ج 28، ص 87.

ومما زاد أثر المسجد وديمومة رفده للحياة العلمية هو مشاركة الجميع في توفير الأموال اللازمة لأزدهار الحياة العلمية في المساجد[1].

2- الكتاتيب

تُعد الكتاتيب من أقدم المراكز الثقافية بعد المساجد والجوامع، وتشكل احد مظاهر الحياة العلمية بالثغور وقد اسهمت في نشر العلوم والمعارف الأسلامية على وجه الخصوص[2].

وقد ورد أصطلاح الكتاتيب في معاجم اللغة العربية منها ((المكتب: موضع الكتاب، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب، المكتب موضع التعليم والمكتب المعلم والكتاب الصبيان)) [3].

ويهدف الى تعليم الصبيان القراءة والكتابة، ثم تعدى ذلك الى تعليم مبادىء الدين والصلاة وقراءة القرآن والحساب[4]، وكان الذين يتولون التعليم في المكاتب يطلق عليهم اسم المعلمين أو المكتبيين[5]، ويدير المكتب معلم قارىء حافظ مثقف يتخذ التعليم حرفة، واذا كان عدد الاطفال كثيراً قد يشترك اكثر من معلم واحد في المكتب[6].

وكان المعلم يقوم بتقسيم أوقات الدراسة في مكتبه ويوزع مفردات المنهج على أيام الأسبوع، كأن يجعل لكل مادة يوماً معيناً أو ساعة محددة، وفي الاغلب الاعم كانت الدراسة تبدأ من بعد صلاة الصبح الى الضحى الاعلى، ثم من الظهر الى صلاة العصر، وبعد ذلك يسرح الطلبة الى ذويهم، اما الدراسة في المكتب أيام الأسبوع فهي السبت والاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء وصبيحة يوم الخميس، وكانت الدراسة تعطل في أيام الجمع والأعياد لاسيما عيدي الفطر والأضحى[7].

والحال في الثغور الأندلسية له خصوصيات كونها مجاورة للممالك الاسبانية النصرانية، وان للمرابطين اسهاماً عسكرياً في حراسة الحدود والتدريب والمراقبة

---

(1) حسين، حازم غانم، الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي (رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1983م) ص 115.

(2) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 226.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 42، ص 3817.

(4) الغزالي، احياء علوم الدين، ج1، ص 48.

(5) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت 589 هـ/1193م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني (دار الثقافة، بيروت، د.ت) ص 103؛ الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحيى (914 هـ/ 1508م) المعيار المعرب والجامع المغرب (وزارة الاوقاف والشؤون الأسلامية، الرباط، 1981 م) ج7، ص 111.

(6) سحنون، محمد (ت 256 هـ/869م) آداب المعلمين، تحقيق: محمد العمروسي (دار الكتب الشرقية، المغرب، 1972م) ص 74.

(7) الجبوري، الحركة الفكرية في فاس، ص 212.

خشية تسلل الاعداء ودخولهم الأراضي الأندلسية، فساعات الدراسة في أيام محددة تبعاً للمخاطر العسكرية والحذر من هجمات ومواجهات حربية قد تحدث.

ومن طرق التعليم في الكتاتيب وأساليبه العلمية أن يقوم المعلم بقراءة آية من آيات القرآن الكريم ثم يقوم بعض المعلمين بتعليم الأطفال السور القرآنية القصيرة اولاً، وعندما ينتقل الطفل من جزء الى جزء كان عليه أن يقرأ على معلمه ما قد سبق وتعلمه، وهكذا يمضي الصبي من جزء الى جزء[1].

وقد بين ابن الازرق الغرناطي ما اتبعه أهل الأندلس عموماً وفي مدنهم كافة في تعليم اولادهم فقال: ((وهي تعليمهم للقراءة والكتابة اذ هو، لكن لما كان القرآن أصل ذلك ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلاً في التعليم، وخلطوا به رواية الشعر والترسل، وحفظ قوانين العربية وتجويد الخط والكتابة وعنايتهم به اكثر من الجميع الى ان يخرج من حد البلوغ الى حد الشيبة، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر، وبرز في الخط والكتابة، وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم ولكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في افقهم ولا يحصل لهم الا ذلك التعليم الاول وفيه كفاية واستعداد اذا وجد المعلم)) [2].

والكتاتيب كانت تنصب إما في المساجد وإما في أماكن خاصة[3]، اما أبرز توجيهات ابن سحنون لمعلمي الكتاب هي ((ان يعلمهم اعراب القرآن والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل ولا بأس ان يعلمهم الشعر))[4]، ومنها ايضاً ((ان لا ينقلهم من سورة الى سورة حتى يحفظوها))[5].

وقوله ايضاً ((ينبغي للمعلم ان يأمرهم بالصلاة اذا كانوا بني سبع سنين ويضربهم عليها اذا كانوا بني عشر)) [6].

وفي الثغور الأندلسية كانت تقام الدراسة في الربط والزوايا ومراكز عامة على الحدود للمجاهدين على شكل حلقات مصغرة بتوجيه من معلم مثقف يلقن المرابطين توجيهات دينية ودنيوية وتوصيات حربية وفنون القتال واستخدام انواع الاسلحة وكيفية التعامل مع العدو وهي ثقافة عسكرية يتطلبها احوال الثغور.

---

(1) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 243.
(2) بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، ص 365.
(3) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 228.
(4) آداب المعلمين، ص 106.
(5) آداب المعلمين، ص 110.
(6) آداب المعلمين، ص 109.

وقد اتخذ بعض هؤلاء المعلمين أو المؤدبين من التعليم حرفة يتكسبون بها وكان الواحد منهم يتقاضى جعلاً أو مكافأة كلما بلغ احد تلاميذه مرحلة الاتقان والحذق ولذلك عرفت هذه المكافأة بأسم (الحذقة) [1].

فالفقيه محمد بن عثمان السرقسطي ((خرج الى المشرق من سرقسطة حدثاً فأقام هناك وأدب بمصر وسمع سماعاً كثيراً...)) [2].

وكان جودي بن عثمان الطليطلي (ت 198 هـ/813 م) أول مؤدب أدب اولاد الامير بالأندلس[3].

ومن بين الشخصيات العلمية التي كانت تقوم بمهمة تعليم الصبيان في الثغور الأندلسية نذكر منهم: احمد بن كوثر النحوي ((الذي كان وقفاً على سرقسطة ومدائن ثغرها يتجول فيها ويعلم بها وعنده تعلم الرؤساء بنو هود وكثير من أهل الثغر، توفي بعد الاربعين والاربعمائة))[4].

كما كان المقرئ ابراهيم بن دخنيل الوشقي (ت 470 هـ/1077 م) ((...، علَّم العربية وكان رجلاً فاضلاً جيد التعليم حسن الفهم)) [5]. والفقيه بشر بن سعيد العبدري من بعض الثغور الشرقية معلماً فقيهاً لم تؤرخ سنة وفاته[6]. وكان عبد الله بن احمد (ت 448 هـ / 1056 م) ((نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده...) [7].

وكان النحوي احمد بن سعيد بن عبد الله (ت 520 هـ / 1126 م) قد تصدر لتعليم العربية بسرقسطة[8].

وبرز من علماء الثغر الأندلسي الاوسط تمام بن عبد الله بن تمام (ت 377 هـ /987 م) الذي اشتهر عند تعليمه القرآن للصبيان في طليطلة[9]. والفقيه سرواس بن حمود الصنهاجي (ت 391 هـ/ 1000 م) الذي كان معلماً للقرآن[1].

---

(1) الدويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الاموي، ص 400.

(2) اليماني، عبد الباقي عبد المجيد (ت 743 هـ / 1342 م) اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب (القاهرة، 1985 م) ط1، ص 77.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 345.

(4) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ص 53.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 96.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 86.

(7) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص 72.

(8) السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 310.

(9) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج4، ص 98.

والفقيه احمد بن عبد الله بن شاكر الاموي (ت 424 هـ / 1023 م) ((...، كان معلماً بالقرآن))[2].

وكان احمد بن يوسف بن حماد الصدفي (ت 449 هـ / 1057 م) ((...، معلماً للقرآن من أهل الخير والورع والثقة)) [3].

وممن استوطن الثغر الأندلسي الاوسط ابرهيم بن لب بن ادريس التجيبي (ت 450 هـ / 1058 م) ((كان متقدماً في علم العدد والفرائض والهندسة وقعد للتعليم بذلك زمناً طويلاً، وقد أدب بها بطليطلة)) [4].

وكان الواعظ تمام بن عفيف بن تمام الصدفي (ت 451 هـ / 1059 م) ((...، يعلم الناس امر دينهم وما يلزمهم ويخوفهم ويجتهد في نصحهم)) [5].

وكان الفقيه محمد بن خيرة الطليطلي (ت بعد 460 هـ / 1068 م) ((احد المبرزين في علمي العدد والهندسة وعلم ذلك في قرطبة)) [6].

سعيد بن عيسى بن احمد الرعيني (ت 460 هـ / 1068 م) ((...، كان عارفاً بعلوم اللسان نحواً ولغة وأدباً تصدى لتدريس ذلك كله ببلده...)) [7].

وكان احمد بن نعيم مؤدباً في جيان وطليطلة[8]، ومحمد بن بهلول البطليوسي من علماء الثغر الأندلسي الادنى ((كان متقدماً في الاداب حسن القيام بها مشاركاً في النحو أدب ذلك كله في يناشتة للعامة وبأقليش لبعض ولد خدمة السلطان)) [9].

ومحمد بن حسين بن عبادة البطليوسي (ت 560 هـ / 1164 م) ((متقدماً في النحو والادب درس ذلك زماناً)) [10].

ويمكن القول ان الهدف المهم والأساسي من ايجاد تلك الكتاتيب هو تثقيف اولئك الصبيان واعدادهم بروح دينية قويمة عن طريق الخطة والسيرة العلمية المقدمة لهم، ويعلّم اولاد الفقراء القرآن الكريم مجاناً من باب الأجر والثواب مثلما قام به الخلفية الحاكم المستنصر بالله، وغني عن القول انه ليس هناك ثمة ازدواجية في هذا بين أثر المساجد والربط وبين أثر الكتاتيب، فالمساجد كيانها العلمي يعتمد على

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج4، ص 232.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 41.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 56.
(4) ابن الابار، التكملة، ص 166؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 29.
(5) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 121.
(6) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص 72؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ج6، ص 197 .
(7) المراكشي، الذيل والتكملة، ج4، ص 39؛ الذهبي، تاريخ الأسلام، ج31، ص 65.
(8) دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الاموي، ص 400.
(9) المراكشي، الذيل والتكملة، ج6، ص 145.
(10) المراكشي، الذيل والتكملة،ج6، ص 173.

الحلقة والشيخ والمثقفين من شرائح المجتمع مثل الفقهاء والزاهدين، بينما الكتاب كان مقتصراً على الصبيان عن طريق تقديم محصلة علمية متواضعة في حجمها توطئة للإلتحاق بالحلقة في الجامع. فالكتاب يمهد الطريق للصبي بعد بلوغه السن والتحصيل الملائمين الى الانتظام في حلقات الشيوخ في الجوامع والمساجد التي تعد مرحلة علمية متقدمة[1].

3- الربط

ورد اصطلاح الرباط في المعجمات اللغوية ومنها ما يقصد به ((ما ربط به جمع ربط والفؤاد والمواظبة على الامر وملازمة ثغر العدو)) [2].

واطلقت كلمة رباط في القرآن الكريم على رباط الخيل كما جاء في الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [3].

ثم تطورت الكلمة الى ان اصبحت تعني المقام أو المكان الذي يتجمع فيه المتطوعة لمدافعة العدو وللتعبد، ثم اصبحت تعني منشأة علمية ذات صبغة دينية وحربية، بل صبغة دفاعية للذود عن حوزة الأسلام[4] ومراكز علمية لحياة الزهد والتقشف والتصوف يرتادها الصوفية للعبادة والانقطاع الى الله والتوبة ومجاهدة النفس والحد من شهواتها، واصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية، فضلاً عن اسهامها الثقافي في الوعظ والاقراء والتحديث والسماع والافتاء ومنح الاجازات العلمية وتصنيف الكتب، وساعد على ذلك ان الواقفين لهذه الرباطات قد انشأوا فيها الخزائن ووقفوا فيها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها وكذلك يفعل الطلاب الذين يرحلون في طلب العلم، وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف، ويساعدهم على ذلك مكتبات الاربطة العامرة وامكانية مكوثهم فيها وقتاً طويلاً وما يتهيأ لهم من معونة بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلباً للثواب[5].

---

(1) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 227

(2) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج2، ص 274.

(3) سورة الانفال، آية 5.

(4) حوالة، الحياة العلمية في افريقية، ج1، ص 236.

(5) عسيري، مريزن سعيد، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1987 م) ط1، ص 239.

فكانت حياة المرابطين تقوم على الحراسة والزهد والتعبد وذكر الله بصوت مرتفع وكان أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والرباطات والثغور دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات[1].

ومن أبرز علماء الثغور الأندلسية الذين كانوا يرابطون في الرباطات أو الربط نذكر منهم: نعم الخلف بن ابي الخصيب التطيلي (ت 289 هـ / 901 م) ((كان محدثاً شاعراً من أهل الغزو والرباط)) [2].

كما كان المحدث ابو محمد حماد بن شقران (ت 354 هـ / 965 م) ((...، كثير الرباط في الثغور متكرراً عليها توفي بضيعته بإستجة من اقليم طليطلة) [3].

وكان الحسين بن ابي العافية الجنجيالي ت 383 هـ / 993 م ((قدم طليطلة مرابطاً شيخاً صالحاً حدث عنه الصاحبان))[4].

والفقيه الحسن بن محمد بن عبد الله من أهل جيان (ت 390 هـ / 999 م) حدث عنه الصاحبان وقالا: ((قدم علينا طليطلة مرابطاً وكان رجلاً صالحاً...،)) [5].

والمحدث عبد الله بن سعيد بن ابي عوف الرباحي (ت 432 هـ / 1040 م) الذي قدم طليطلة واستوطنها ((كان يرابط في رمضان بحصن ولمش)) [6].

وسليمان بن ابراهيم بن هلال الطليطلي ((كان رجلاً صالحاً زاهداً عالماً بأمور دينه تالياً للقرآن مشاركاً في التفسير والحديث ورعاً فرق جميع ماله وانقطع الى ّ عز وجل ولزم الثغور، توفي بحصن غرماج وذكر ان النصارى يقصدونه ويتبركون بقبره)) [7].

ومن علماء الثغر الاوسط الأندلسي عبد الله بن محمد بن عيسى الذي قدم طليطلة مجاهداً (كان من أهل العلم بالعربية واللغة متحققاً بهما بارعاً فيهما...)[8].

4- دُور الكتب و المكتبات

وما ذكرته المصادر الأندلسية عن النتاج العلمي لعلماء الثغور الأندلسية نجد انهم قاموا بتأليف عدد كبير من المؤلفات وفي مختلف المجالات وكان هذا سبباً رئيسياً في انشاء المكتبات.

---

(1) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد، ص 30.

(2) الحميدي، جذوة القتبس، ج1، ص 358؛ الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص 640.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 109.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص 140.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص 135.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 268؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج29، ص 367 .

(7) ابن بشكوال، الصلة، ج4، ص 199.

(8) الذهبي، تاريخ الأسلام، ج 28، ص 114؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 59 .

فجمع الكتب وانشاء المكتبات من أهم روافد الحياة العلمية، فقد حرص الكثير من الأمراء والخلفاء والكبراء في الأندلس على جلب الكتب وتأسيس المكتبات، ومن أشهرهم في ذلك الخليفة الحكم المستنصر بالله (ت 366 هـ/976 م) الذي اسس مكتبة عظيمة حوت نحو 400 الف مجلداً في علوم شتى، واخذ الكثيرون في اقتناء الكتب وانشاء المكتبات في شتى انحاء الأندلس للعلم أو للتباهي بها[1].

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 462.

وتقسم المكتبات على:-

أ- المكتبات العامة

ب- المكتبات الخاصة

أ – المكتبات العامة

تعد مكتبات المساجد من أهم المكتبات العامة التي كانت ملازمة لأغلب مساجد المسلمين بعد انتشار الأسلام[1]، وذلك لتوافر مادة لمكتبات المساجد كالمصحف الشريف وكتب الحديث والكتب الدينية الاخرى فضلاً عن كتب العلوم والآداب التي شجعها الأسلام وتوافر مواد الكتابة اللازمة للنسخ والتدوين[2]. وقد ازدهرت بعض المساجد الأسلامية في الأندلس واصبحت من أهم مراكز التعليم والدراسة التي جذبت الطلاب من جميع انحاء العالم الأسلامي، اذ كانت تعقد في هذه المساجد جلسات الدراسة والمناظرة كما كان يحدث في جوامع قرطبة وطليطلة، وتذكر المصادر ان طلاب غير مسلمين من دول اوربية كانوا يقصدون هذه الجلسات التي كانت تعقد في جامع طليطلة الذي كان يضم مكتبة غنية اشتهرت مركزاً للثقافة الأسلامية[3].

فقد كان الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عباس صاحب الصلاة والخطبة في جامع طليطلة الذي قام بتدريس الفقه والحديث في جامع طليطلة[4].

وكان ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبي (ت 450 هـ / 1058 م) الذي جلس لأقراء الادب والنحو في سقيفة الجامع بطليطلة[5].

وقد كان لمكتبة الحكم المستنصر بالله في قرطبة أثر كبير في اغناء المكتبات العامة وتزويدها بالكتب، وبعد قيام الفتنة البربرية انتقلت المكتبة الكبيرة من قرطبة الى عاصمة الثغر الأندلسي الاوسط طليطلة اذ بيعت الكتب العلمية فيها بأوكس الأثمان[6].

ب – المكتبات الخاصة

وتشمل المكتبات التي كان ينشؤها الخلفاء والأمراء والحكام المسلمون، وقد ازدهرت هذه المكتبات بفضل الأهداء وشراء الكتب من المشرق الأسلامي، اذ متى وجد خليفة أو أمير أو حاكم مسلم محب للعلوم والآداب وراغب في الكتب وأهلها

---

(1) ارنولد، سير توماس، تراث الأسلام، عربه وترجم حواشيه: جرجيس فتح الله (دار الطليعة، بيروت، 1972 م) ص 482.

(2) عليان، ربحي مصطفى، المكتبات في الحضارة العربية الأسلامية (دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999م) ط1، ص 115.

(3) عليان، المكتبات في الحضارة العربية الأسلامية، ص 116.

(4) ابن الأبار، التكملة، ص 166؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص 29.

(5) الذهبي، تاريخ الأسلام، ج 29، ص 462.

(6) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص 67؛ مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية سقوط عصر ملوك الطوائف (المكتبة العصرية، بيروت، 1967 م) ص 264

ومقرب للعلماء والأدباء[1]، فقد أسس الخليفة عبد الرحمن الاوسط مكتبة فخمة في قرطبة، كذلك اعتنى الخليفة الناصر بالله بالعلوم والاداب وقصده العلماء من كل مكان، اذ انشأ مكتبة كبرى في قصره وخزن بها الكتب في جميع اللغات، وجمع الخليفة الحكم المستنصر بالله في قصره نوادر الكتب، وفي عصره اجتمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده واعتنى ملوك الطوائف في الأندلس بالكتب والمكتبات وجمعوا في خزائنهم كتباً في مختلف العلوم والآداب[2].

فقد كان اسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبي (ت 354 هـ / 965 م) من العلماء الذين كانوا يبحثون عن الكتب القديمة العلمية لشرائها[3].

ومن العلماء من تجاوزت شهرة مكتبته الخاصة نطاق مدينته حتى ذاع صيتها في البلاد لكثرة كتبها وندرتها منهم الفقيه سعيد بن احمد بن محمد الحديدي الذي ((جمع كتباً لا تحصى وكانت معظمة عند العامة والخاصة))[4].

وكان للفقيه احمد بن محمد الاموي الطليطلي المعروف بأبن ميمون (ت 400 هـ / 1009 م) مكتبة عامرة مليئة بالكتب والوان التصانيف، وقد وقع حريق في اسواق طليطلة وامتدت النيران الى دار ابن ميمون فالتهمته إلا الزاوية التي بها الكتب، وكان في ذلك الوقت مشغولاً بالجهاد فتعجب الناس من ذلك، ونظراً لما تمتع به من اجادة للنسخ فقد كانت اكثر كتبه بخط يده[5].

والفقيه عبد الرحمن بن عثمان الصدفي (ت 403 هـ / 1012 م) ((...، كان قد نسخ اكثر كتبه بخطه)) [6].

وكان ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغويش (ت 444 هـ / 1052 م) ((ذا كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة)) [7].

وكان الفقيه احمد بن عمر الصدفي (ت 450 هـ / 1058 م) ((من أهل العلم والعمل، حسن الضبط لكتبه متحرياً لم يبح لأحد ان يسمع منه ولا روى لأحد شيئاً من كتبه)) [8].

---

(1) عليان، المكتبات في الحضارة العربية الأسلامية، ص 120.

(2) عليان، المكتبات في الحضارة العربية الأسلامية، ص 123.

(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص 224.

(4) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص 224؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج29، ص 236 .

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 22.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 313؛ الذهبي، تاريخ الأسلام، ج28، ص 84.

(7) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص 83.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 59.

وعبد الله بن سليمان المعافري ويعرف بابن المؤذن (ت 460 هـ / 1068 م) ((من أهل العلم والفضل، الأغلب عليه الحديث والآثار كان كثير الكتب جلها بخطه))[1].

وكان عبد الله بن حيان الارنيشي* (ت 487 هـ / 1094 م) ((له همة عالية في أقتناء الكتب))[2]. وكانت سعيدة بن محمد بن فيرة التطيلي ((...، تنسخ الكتب نافذة فيما تكتبه أو تخاطب به))[3].

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج5، ص 279.

(*) نسبة الى ارنيش، بلدة من اعمال طليطلة ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 224 .

(2) الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص 445؛ الذهبي، تاريخ الأسلام، ج 33، ص 207.

(3) المراكشي، الذيل والتكملة، ج8 ق1، ص 487.